الجزء 2

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

الرمز في الشعر الصوفي
شعر ابن الفارض أنموذجاً

م. م. رحيم زاير كاظم نجد

وزارة التربية– المديرية العامة للتربية في ميسان

raheemga93@gmail.com

Symbolism in Sufi Poetry
The Poetry of Ibn al-Farid as a Model

Asst. lect. Raheem Zayer Kadhim Najd

Ministry of Education - General Directorate of Education in Maysan

الملخص:

يُعدُّ الرمز في الشعر الصوفي من الأمور التي يصعب تفسيرها أو الاحاطة بها، فلقد اتَّسم الشعرُ الصوفي بخصوصية ميَّزته عن سائر أنواع الشعر الأخرى، لذلك فهو يمتاز عن غيره من الشعر العربي بخصائص فنية من أهمها، ورود مصطلحات وألفاظ صوفية بحتة ابتدعها الشعراء المتصوفة، ولذلك وضعوا معاجم خاصة بهم تميزهم عن سائر الشعراء، وبذلك استثمروا الرموز للبوح بأفكارهم وأحاسيسهم في قالب شعري مختلف، ويظهر ذلك جلياً في قصائد الشاعر الصوفي (ابن الفارض)، الذي اتَّخذ الرمز منطلقاً مهماً وراكزاً يعبر من خلاله عن شوقه في المعرفة الروحية التي هي طريقه في التجلي الروحي.

وعليه فأن الرمز له أبعاده الفنية والجمالية وهو الجمال المعنوي الذي ينشده الشاعر الصوفي ليصل به إلى الجمال الروحي، ولذا بات الرمز تعبيراً عن الجمال الإلهي المطلق، وعلى هذا الأساس يسعى هذا البحث لبيان خصوصية الكتابة الصوفية عند ابن الفارض، ولقد حاولنا تقديم إجابات عن بعض التساؤلات التي تثير جدلا معرفيا حول الشعر الصوفي عند ابن الفارض، وتتمحور الإشكالية هذه حول: أهم الرموز التي يوظفها الشاعر الصوفي، إذا ما أدركنا أنَّ الرمز عند ابن الفارض لا يقف عند دلالاته المتعينة بل هو رمز متعدد التأويل، غزير الدلالة يستهدف العقل قبل القلب، اتَّخذ فيه الشاعر المتصوف الخمرة رمزاً ليعبر عن وجدانه الخاص، مؤسسا عن طريق ذكر الخمرة معجمه الخاص لغرض الإبداع في تجربته الشعورية والروحية، كما لا يخفى تكشف أنَّ للمرأة نصيبا كبيرا في الشعر الصوفي فقد حظي باهتمامه، بعدما عبَّر رمز المرأة عن الحب أعظم تعبير، واتخذه مذهباً في الحياة.

الكلمات المفتاحية: الرمز، التصوف، الشعر الصوفي، ابن الفارض.

Abstract:

Symbolism in Sufi poetry is among the most difficult aspects to interpret or fully comprehend. Sufi poetry is characterized by a unique quality that distinguishes it from other forms of poetry. It is distinguished from other Arabic poetry by several artistic

purpose of creative expression in his emotional and spiritual experience. It is also evident that women hold a significant place in Sufi poetry, having garnered his attention. The symbol of woman expresses love most profoundly, and he adopted it as a way of life.

Keywords: symbolism, mysticism, Sufi poetry, Ibn al-Farid.

المقدمة

يُعد الشعر الصوفي علامة فارقة في الشعرية العربية فقد اعتمد ثيم متعددة ومبتكرة مثل: الفناء في الله, والعشق الإلهي, مع الاهتمام بموضوعات التسامح بين الناس, وجدد المتصوفة في الأدوات الشعرية حتى صار الإحساس ينجذب للمعاني الروحية غير المدركة وينأى عن المدركات الحسية, وهو ما دعا الشاعر (ابن الفارض), إلى اعتماد الرمز الصوفي ممثلا في رمزي المرأة و الخمرة, كبؤرة تمركز في القصيدة الصوفية, مستثمرا فيهما البعد الإنساني والروحي في معالجة لواعج النفس الشغوفة في حبِّ الله.

إن الرمز الصوفي من الأمور التي يصعب تفسيرها، فلقد اتسم الشعر الصوفي بخصوصية ميزته عن باقي أنواع الشعر الأخرى، إذ تكمن تلك الصعوبة في قوة الترميز مما تتسم نصوصهم بالغموض، لذلك يمتاز الشعر الصوفي عن

features, most notably the use of purely Sufi terms and expressions coined by Sufi poets. They developed their own lexicon, setting them apart from other poets, and thus employed symbols to express their thoughts and feelings in a distinct poetic form. This is clearly evident in the poems of the Sufi poet Ibn al-Farid, who used symbolism as a crucial and fundamental starting point to express his yearning for spiritual knowledge, which he saw as his path to spiritual manifestation.

Therefore, the symbol has its artistic and aesthetic dimensions, representing the moral beauty that the Sufi poet seeks to attain, ultimately reaching spiritual beauty. Thus, the symbol becomes an expression of absolute divine beauty. Based on this premise, this research aims to elucidate the unique characteristics of Sufi writing in Ibn al-Farid's work. We have attempted to provide answers to some of the questions that spark epistemological debate surrounding Ibn al-Farid's Sufi poetry. This central issue revolves around the most important symbols employed by the Sufi poet. If we understand that for Ibn al-Farid, the symbol is not limited to its specific meanings but is multifaceted, rich in significance, and targeting the intellect before the heart, we find that the Sufi poet adopted wine as a symbol to express his personal feelings. Through the mention of wine, he established his own lexicon for the

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية
ISSN (2959-0256)

غيره من الشعر العربي بخصائص فنية وموضوعية خاصة، وبذلك جاء الرمز ليعبر عن أفكار المتصوفة بطريقة غير مباشرة، إن هذه الخصوصية التي تميز بها شعراء الصوفية في الخطاب الشعري الصوفي أدى بهم إلى نظم قصائد شعرية مادتها الأولى الفكر الديني، ولهذا أحدث الشاعر الصوفي قطيعة مع الأشكال الشعرية التقليدية من خلال رؤيته الصوفية؛ وتوظيفه لمعجم شعري مغاير تماما للمعجم التقليدي الذي درج عليه الشعر العربي.

وتأسيساً على ما سبق يسعى هذا البحث قدر الإمكان بيان خصوصية الرمز في قصائد ابن الفارض، مع الكشف عن أبعاده الصوفية، وبهدف الوقوف على معالم التجربة بشقيها الشعري والصوفي، فالتجربة الصوفية هي البنية العميقة التي تتغلغل في النص الشعري، وسنحاول في هذه الدراسة التعرف على طبيعة الرمز وأبعاده الصوفية، وعلى هذا الأساس يسعى هذا البحث قدر الإمكان الإمساك بخصوصية الكتابة الصوفية عند ابن الفارض، وتبيان رؤيته الصوفية، وبهدف الوقوف على معالم التجربة الشعرية الصوفية عنده، ولذلك قسمنا البحث إلى محورين:

الأول: تناولنا فيه (مفهوم الرمز لغة واصطلاحاً مع بيان أهميته في النص الشعري الصوفي، وكذلك مفهوم التصوف وعلاقة الشعر به)

الثاني: تناولنا الرمز في شعر ابن الفارض مع بيان تجلياته وأبعاده الصوفية. ثم ختمنا البحث بالنتائج، وتثبت المصادر والمراجع .

لم يخلُ البحث من جملة صعوبات وقفت حائلة دون اكماله بالطريقة التي تمنيتها، كما كان التعامل مع الرمز الشعري وفك شفراته وبيان تجلياته صعوبة في تعطيل البعض من مرامي البحث، ولكنني حاولت قدر المستطاع أن أولي للبحث حقه مستعيناً بذلك بالمنهج الوصفي التحليلي الذي أراه المنهج الأنسب لهكذا موضوعات حساسة وشائكة.

منهج البحث:

في بحثنا هذا اعتمدنا على المنهج الأقرب لهذه الدراسة وهو المنهج الوصف التحليلي الذي نراه الأقرب بالكشف عن طبيعة الرمز وجوهره في قصائد ابن الفارض.

خلفية البحث:

من خلال البحث عن المصادر التي تناولت التصوف والشعر الصوفي، وبالذات شعر ابن الفارض، وجدنا الكثير منها، ونذكر أهمها:

1 –ديوان ابن الفارض.(1310 هـ). شرح وتحقيق جمعة رشيد بن غالب، المطبعة الخيرية.

2-شعوفي قويدر.(2018). جمالية الخيال والرمز في الشعر الصوفي ، دراسة تحليلية مقارنة. بين الحلاج وابن عربي، الجزائر، جامعة وهران، الموسم الدراسي، (أطروحة).

3-عاطف جودة نصر.(1987). الرمز الشعري عند الصوفية، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

4-علي حيدر.(1999). مدخل إلى دراسة التصوف: الشعر الصوفي في القرن السابع الهجري والعصر المملوكي، (ط1، دار الشموس للدراسات، دمشق.

المبحث الأول: الرمز في الشعر الصوفي

توطئة:

إن للرمز فاعليته في النص الشعري وخصوصاً النص الشعري الصوفي، لكونه من أكثر النصوص الشعرية خصوصية، لما ينفرد به من مميزات لغوية ودلالية وترميز عالي يفصح عن طبيعة التجربة الروحية وممارساتها العرفانية، وبذلك تختلف رؤية الشاعر الصوفي عن غيره من الشعراء، فهو يختلف عنهم في الأداة الشعرية وطريقة التعبير، لكي يتمكن الشاعر الصوفي من رؤية العالم ويتوحد معه، ولقد كان لابن الفارض بصمته الشعرية الخاصة التي اعطت للغة التصوف طابعها تصوراتها الروحية وأبعادها الفكرية ، ولذلك انبثقت المنظومة الترميزية في شعر ابن الفارض من المنظومة الروحية، وبذلك جاءت نصوصه الشعرية مشبعة بالدلالات الرمزية الكثيرة، ولقد اتخذ من الخمرة رمزاً ليعبر عن وجدانه الخاص، وبذلك أسس ابن الفارض عن طريق ذكر الخمرة معجمه الخاص لغرض ابداع تجربته الشعورية والروحية، و رمز المرأة كان له نصيب كبير في الشعر الصوفي وقد حظي باهتمام ابن الفارض، عبر عن الحبِّ من خلال رمز المرأة أعظم تعبير، واتخذه مذهباً في الحياة، فابن الفارض يعيد محاكاة كونه الشعري الصوفي مع الكون الكبير (الوجود), رادما الفجوة بين المحسوس الخارجي والعوالم الروحية المتخيلة في جسد القصيدة الصوفية.

لقد تناول هذا البحث الرمز في الشعر الصوفي، وتم اختيار قصائد الشاعر المتصوف ابن الفارض عيّنة اجرائية لذلك، حيث سلط البحث الضوء على الرمز، مع بيان أهميته وأبعاده في نصوص الشعراء المتصوفة، لتعريف المتلقي على كيفية استثماره، ومدى تأثيره، فالقارئ للشعر الصوفي يتلمس جماليات التشكيل في ترسم التكامل وعلى المستويين الفني والفكري, حيث ترتقي القصيدة إلى منارة التجربة الروحية، كاشفة عن دلالة الوعي بالتجربة.

ولقد اتخذ الشاعر الصوفي الرمز معيارا أساسيا في شعره حتى يتمكن من التعبير عن مدركاته الروحية، والتعبير عن معانيه ومشاهده وإحساساته النفسية، فشاع في لغتهم الرمز، فاللغة الصوفية إذن لغة رامزة، فهي تحتاج إلى تأويل، وما

الجزء 2
ISSN (2959-0256)
مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية
العدد
6
شهر آب
2027

تحمله من إشارات، وما تختزله من معاني ذوقية ما ورائية كثيرة، وضفَها العديد القضايا الروحية والفكرية، في هذا المبحث سنسلط الضوء أولاً :على طبيعة الرمز لغة واصطلاحاً، وثانياً: نعرج على بيان التصوف لغة واصطلاحاً وما مدى علاقته بالرمز وثالثاً: نبين طبيعة الرمز وكيفية استثماره في النص الشعري الصوفي.

أولاً : الرمز لغة واصطلاحاً

يُعرف الرمز لغة, أنّه " يضم ويُحَرَّكُ : الإِشارَةُ ، أو الإيماء بالشَّفَتَين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان" (مجد الدين الفيروز آبادي: 2008، مادة: رمز)، وجعل ابن رشيق الرمز من أنواع الإشارة فقال: " ومن أنواعها الرمز، وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار كالإشارة "، (ابن رشيق القيرواني: 1981، ص305)، وقد بدا جليا للدارسين في حقل اللغة أنّ " الرمز إشارة، والإشارة رمزاً "، (المصدر نفسه: ص311)، والمتأمل في شعر المتصوفة يجد بلا شك ذلك التضمين الواضح للرموز والذي أصبح تقنية يوظفها الشاعر في الكثير من المواقف فيمنحها فضاء شعريا واسعا سخيا بالإيحاءات و الدلالات.

إما الرمز اصطلاحاً، فيُعرّف بحسب ما "ذكره يونج أن الرمز لا يناظر أو يلخص شيئاً معلوماً لأنه انما يحيل على شيء مجهول نسبياً ، فليس هو مشابهة وتلخيصاً لما يرمز إليه وانما هو أفضل صياغة ممكنة لهذا المجهول النسبي "، (عاطف جودة نصر: 1987 , ص20)، إما الرمز الشعري فهو " يمنح الشاعر قدرات تعبيرية عالية ويفتح أمامه افاقاً رحبة تمنحه الحرية في الاتساع والامتداد والانطلاق بمعانيه ، بما يحقق أعلى مستويات التعبير " (مولود محمد زايد: 2001, ص15)، فالرمز من حيث الماهية لم يغادر منطقة الحسّ, فهو يقع تحت تأثير الايحاءات المعنوية التي تنسجم مع مرجعيات النص الصوفي.

إن علاقة الترميز في النص الشعري هو من الظواهر الفنية في الشعر ووسيلة من وسائل التعبير التي إلتفت إليها الشعراء المتصوفة فاهتموا بتوظيفه في لغرض بلوغ الاتقان الفني والقدرة على التوصيل والتأثير، ولذلك يعد الرمز نمطاً من أنماط الصورة الشعرية الفنية، ووجه من وجوه التعبير، والشعر الصوفي هو شعر الرمز يعبر فيه المتصوف عن تجربته الذاتية بما فيها من مواجد روحية.

ثانياً : التصوف لغة

ورد في لسان العرب "الصوفية كل من ولي عملا من أهل البيت، وهم الصوفان "، (جمال الدين محمد بن مكرم: 1957، 216، مادة: رمز)، وجاء في المصباح المنير:" (الصوف) للضأن والصوفة أخص منه وكبش صوف أصوف وصائف كثير الصوف وتصوّف الرجل وهو صوفيّ من قوم صوفية "، (احمد بن محمد بن علي الفيومي القمري: 1987، مادة, صوف)، وقد تعددت

ISSN (2959-0256)

معاني لفظ الصوفية من جهة الاشتقاقات المتنوعة. وقال ابن خلدون في (المقدمة): " إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف لأنهم في الغالب مختصون به "، (عبد الرحمن بن خلدون: 2004، ص 467)، وبذلك يعد التصوف سمو أخلاقي, تتخلق به النفس البشرية بغية الوصول إلى تحقيق الفضائل الإنسانية.

التصوف اصطلاحاً:

لقد اختلف الباحثون اختلافاً كثيراً في تعريف التصوف، وليس ببعيد اختلافهم في الأصول والنشأة, وهو ما أدى للاختلاف في تعريف مفهوم التصوف, يمكننا عدَّه حالة صحيّة, فيرى ابن الجنيد في تعريفه "التصوف، استعمال كل خُلق سَنِي، وترك كل خُلق دني " (عبده غالب أحمد عيسى: 1992, ص97), فهو سلوك ينشد الرفعة والتسامي عن الفعل الدنيوي الفاني, وقد لا يذهب بعيدا أبو بكر الشبلي إذ يقول: (التصوف، ضبط حواسك، ومراعاة كلّ أنفاسك " (المصدر نفسه: ص97) ومن يعرف التصوف: على أنَّه " عبارة عن طريقة في تزكية النفس، لكنها لا تتقيد بالشرع لا في وسائلها، ولا في مفاهيمها التي يؤمن بها الصوفي في سلوكه، ولا في غايتها من هذه التركة " (بهاء حسن سليمان زعرب: 2012, ص18)، ويُعدُّ التصوف ظاهرة مركبة وبالغة التعقيد، ومازالت تثير الاهتمام والتساؤل والافتراض والتخمين، لأنها ترتبط في مجالات معرفية، وكذلك جمالية وأخلاقية متمثلة في الفلسفة، الأدب، الدين.

لقد عرّف عبد الله حسين التصوف بما يلي فقال: " قلنا: إن التصوف هو المذهب القائل بالإلهام أو بالبصيرة، وإذا شئت فبالعلم الإلهي، أيّ بهذا النوع من المعرفة اليقينية الذي لا يعتروه شك ولا تعبث به سفسطة " (عبد الله حسين: (د–ت), ص73)، يُعد الخطاب الصوفي من أكثر الخطابات الأدبية خصوصية، وذلك لما تتفرد به اللغة الصوفية من مميزات لغوية وبلاغية، وهذه الخصوصية تعود – في الأساس– إلى طبيعة التجربة الصوفية و الممارسات العرفانية الذوقية.

ثالثاً : علاقة الرمز بالشعر الصوفي.

إن القارئ للقصيدة الصوفية ليس بمقدوره " استخدام الميتافيزيقا بمعزل عن رمزية الدلالة اللغوية ، سواء في ذلك الميتافيزيقا التوكيدية التي تستخدم العقل استخداماً متعاليا وتتجاوز حدود التجربة الإنسانية... أو التي تستخدم العقل استخداماً باطناً وتحدّد موضوعات العيان الحسي بواسطة التصورات الخالصة " (عاطف جودة نصر, 1987, ص81)، فهي تستمد عمق هذه الصلة من العلاقة الوثيقة بين الرمز والشعر الصوفي, "وقد تميزت اللغة الصوفية بأنها لغة رمزية إشارية " (محمد كبيري: 2022, ص414), وهو ما يحرص على ديمومته الشعراء المتصوفة في

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

نصوصهم الجمالية, فهذه السمة توفر لهم أفقا فسيحا يمكنهم من خلاله خلق مساحات لمخيلتهم الشعرية حيث البعد الإيحائي واللغة المتفردة, لحرصهم الكبير على النأي عن خواطر العامة, والعوم في عوالم من ملكوت المعشوق.

ولما كان " التأويل أداة لقراءة الشعر الصوفي، وتفسير الرموز الموجودة فيه، فهو بذلك ضرورة ملحة لإيجاد معنى ثاني يختبئ وراء الترميز عن طريق إهمال الظاهر والاتجاه الباطن لفهم النصوص الصوفية وارجاعها إلى أصلها و استخلاص الغاية منها "، (نصر حامد أبو زيد: 1990، ص 230)، وانطلاقا من التصور السابق فأن من مميزات الشعر الصوفي القديم السمو الروحي، المعاني النفسية العميقة، والخضوع لإرادة الله القوية، والإكثار من الخيال، واستعمال الرمزية والشطحات الصوفية، والجنوح نحو الإبهام والغموض.

يحلق الشاعر الصوفي ذا المخيلة الخصبة حيثُ دعته أفاق التجلي أنّى أراد يريد ومتى شاء التحليق في عالم يستوعب روحه الذائبة في المعشوق متخذا من رمزية الوجود في عالمها الصغير الفاني مسالك ودلالات تستوعب انعتاقها وتجردها من القيود الدنيوية, حيث العالم الفسيح, فهي تبتغي الانطلاق من قيد الحياة الدنية الفانية, إلى فضاءات الانعتاق, بعيدا عن وقيود النفس الشهوانية, تجربة سراجها اللغة ومدادها الضوء الكامن في خلد الروح الذائبة, في هكذا انعتاق يتحقق الخلاص, وهو ما يبتغيه الشاعر الصوفي، وبذلك أصبح الرمز الصوفي شاقاً وممتعاً في الوقت نفسه، فالرمز اصبح ممارسة جميلة وراقية للأفكار المحلقة في فضاءات ساحرة.

يُعد الرمز في الشعر الصوفي وجه من وجوه التعبير، فهو يعبر بالمحسوس عن المعنوي أو المجرد، مما يدفع المتلقي إلى احتمالات تأويلية متعددة تدفعه إلى التفاعل مع النص ومحاولة فك شفراته، وبذلك يعد الشعر الصوفي شعر رمز يعبر من خلاله الشاعر المتصوف عن تجربته الذاتية بما فيها من معطيات روحية، ولذلك يعمد الشاعر إلى تكثيف لغته الشعرية ذات المعطيات الرمزية لنقل رؤيته عن العالم، فالنص الصوفي نصاً مشبعاً بالرمز لما يتضمنه من صور فنية كثيفة.

المحور الثاني: الرمز الصوفي في شعر (ابن الفارض)

نسعى في هذا المبحث قدر الإمكان الإمساك بخصوصية الكتابة الصوفية عند ابن الفارض، وتبيان رؤيته الصوفية، وبهدف الوقوف على معالم التجربة الشعرية الصوفية، وذلك انطلاقاً من كشف الرموز في نصوصه الشعرية، فلقد مثل ابن الفارض علامة بارزة في الشعري الصوفي، فهو شخصية صوفية معروفة, غذ ولد " في الرابع من ذي القعدة (576 هـ) بمصر، وتوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادي الأول سنة (632) ودفن بسفح المقطم "، (عاطف جودة نصر: 1987، ص 56)،

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

ومما تقدم أن هناك اختلاف كبير بين الباحثين بخصوص ولادته، واتفاق على سنة وفاته.

شعر ابن الفارض " من الوجهة الفنية نموذجا صادقا للتعبير الشعري المنبثق عن تجربة ذاتية أصلية، وذلك لأن أحواله ومنازلاته ومواجيده الروحية هي التي كانت، تحرك فيه القوافي والأوزان، فتجعله ينشط للشعر، إذ يصف به أحواله عن ذوق فردى أصيل لا عن تقليد أو محاكاة."، (المصدر نفسه: ص 305)، وبذلك فشعر ابن الفارض هو شعر الرمز يعبّر فيه عن تجربته الذاتية بما فيها من أذواق ومواجيد وما يعتريه من فقد وما يحسّه من اغتراب، وقد وقع اختيارنا على شعر ابن الفارض الصوفي نظرا لما يتضمنه من صور فنية كثيفة ذات دلالات رمزية بالإضافة إلى النص الصوفي الذي يعد في حدّ ذاته نصا مشرّبا بالرمز، ومن بين الرموز المهيمنة في المتن الشعري هي:

***رمز الخمرة:**

إن الرمز الصوفي من الأمور التي يصعب تفسيرها، لآنه يتسم بخصوصية فنية ومضمونية ميزته عن باقي أنواع الشعر الأخرى، وهذا ما يمكن بيانه من خلال استثمار الشعراء المتصوفة لرمز (الخمرة)، الذي تعدد دلالاته باختلاف مقاصد الشعراء، القصيدة الخمرية من القصائد الذائعة الصيت " في ديوان ابن الفارض بعد تائيته الكبرى, يقوم الشاعر في هذه القصيدة بوصف الخمرة وصفاً عميقاً، كي يبلغ غاية غير مادية. ويجبر القارئ على العبور من ظاهرها إلى باطنها "، (محمد هادي مرادي، وفاطمة نصر اللهي، 2011م، ص112)، وهذا ما جاء في قصيدته، التي يقول فيها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

من (ديوان ابن الفارض: 1310هـ، ص 6).

من القراءة الأولى لقصيدة ابن الفارض يبرز وصف الخمرة، وهو المعنى الظاهر الذي يكتنه معناه القارئ العادي, وهنا ابن الفارض أيضا من خلال القراءة الفاحصة أنّه قد استعار ألفاظ الخمرة الحسية لتقريب الصورة للمتلقي وتحسيسه بالخمرة الصوفية الدالة عن الحب الإلهي، و التي تجعل الصوفي يعيش نشوة التأمل في الجمال المطلق للذات العليا ، ولابن الفارض أيضا خمرية اقتطفنا منها:

وإن خطرت يوما على خاطر أمرئ أقامت به الأفراح، وارتحل الهمّ

ولو نظر الندمان ختم إنائها، لأسكرهم من دونها ذلك الختم

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت إليه الرّوحُ، و انتعش الجسم

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

(المصدر نفسه: ص6).

لقد اتخذ الشاعر من الخمرة رمزاً ليعبر عن وجدانه الخاص، ففي النص الآنف الذكر أن الخمرة تزيح الهم، وتقيم الافراح، وبذلك أسس ابن الفارض عن طريق ذكر الخمرة معجمه الخاص لغرض ابداع تجربته الشعورية والروحية، فالخمرة عنده تنعش الجسم لتعود إليه الروح نقية صافية، وبذلك فهو يقوم بتشكيل صوره الشعرية بالاعتماد على الفاظ دالة على الخمر ومنها (الندمان، والروح، والجسم)، ومن هنا تنطلق الدلالات الإيحائية مغايرة وغير مألوفة.

إن الصوفية أفادوا من شعر الخمر يسيطر عليهما طابع التقابل الوجداني فعندهم أن السكر يقابله الصحو، ويمكن أن نقول بأن الخمر في الشعر الصوفي إلى رمز عرفاني، "إنّ ابن الفارض هو الذي يعتبر موجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي... فالسكر عند الصوفية لا يقصد بها السكر الحسي وحتى الخمرة ليست الخمرة الحسية، بل ذوق جمالي وراء ذلك، أنّه معنى باطني عرفاني "، (شعوفي قويدر: 2018م، ص 190)، واضح أن الخمرة الصوفية ترمز إلى حالتي الحضور والغياب.

إن ابن الفارض في خطابه الشعري الصوفي، إنّما ينطلق من الأشكال التعبيرية القديمة، ويشحنها بالدلالات، حتى تساير فضاءه الروحي، فكان من أبرز من مارس "إعادة التشفير اللغوي في الشعر قديما، عن طريق نزع الدلالات الأولى الحسية والدنيوية لكلمات تتصل بمحالات الجنس والخمر وحالات النفس لإدراجها في أنساق رمزية جديدة"، (صلاح فضل: 1995م، ص 227)، وتأكيدا لقول (صلاح فضل) يقول ابن الفارض في قصيدته ما يأتي:

وإذا وصلت أثيل سلع فالنقا فالرقمتين، فلعلع فشظاء

وكذا عن العلمين من شرقيه مل عادلا للحلة الفيحاء

(ديوان ابن الفارض: 1310، ص 131).

لقد تحول المكان اللغوي "الرقمتان" بوصفه روضتين بناحية الصمان إلى رمز لمقام محمدي متداخل مع مقام آخر تتبين فيه الأحوال كالوشم المتبين أو الوشي في الثوب، أما لفظة "لعلع" باعتبارها مكاناً لغوياً إما اسم جبل أو واد فيه مزارع ومياه فقد أخذ دلالة رمزية تكشف عن مقام محمدي جامع "، (ديوان ابن الفارض: 1310هـ، ص131)، وهكذا سعى ابن الفارض إلى تغيير أفق القارئ الذي "قبل وكل شيء ذات تتلقى وتؤسس الذاتية التي بواسطتها يفصح النّص عن طيوره وحضوره"، (عاطف جودة نصر: 1961، ص 25)، لأنّه بهذا يستميله بالوقوف على أماكن ودور مألوفة لديه، يضفي عليها الدلالات الرمزية إشباعا لـ (الأنا) التواقة للسفر

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

الروحي باتّجاه المرموز له، وتعتيما للآخر الذي عقد من أفق تلقيه للخطاب.

لا يجد الشاعر "إلّا أوصافاً معروفة في نظم الخمر، لأنّ طبيعة اللغة، وطبيعة الموضوع تلزم الشاعر بذلك، لذلك كان يحاول عن طريق المبالغة والغلو تصوير خمرته الإلهية، حتى لا تختلط في الأذهان مع الخمر العادية"، (علي حيدر، 1999، ص131)، وهو ما يميز الشعر الصوفي من حيث المضمون والدلالة عبر تضاد المحسوس وغير المحسوس.

***رمز المرأة:**

يمثل تصور المرأة في تأملات الصوفية رمز الجوهر الأنثوي، وبذلك بات الحب الصوفي بعيداً عن المآرب والماديات التي تجهز على التجليات الروحية، وما انطوت عليه المرأة من رموز ودلالات حيث بدت فيها تعبيراً عن الحب الإلهي، إذ استخدم المتصوفة لغة مفعمة بالتعالي والتطهر والعفة، ومن الشعراء سلطان العاشقين ابن الفارض الذي وظف رمز المرأة في تائيته الكبرى بتعدد المعشوقات العربية الجاهلية، كما جاء في قوله :

وصرح بإطلاق المال ولا تقل بتقييده ميلاً لزخرف زينة

فكل مليح حسنها من جمالها معار لها، بل حسن كل مليحة

وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة وآونة تدعى بعزة عزت

(ديوان ابن الفارض: ص1310هـ، ص 86).

نستشف من هذه الأبيات نوعين من الجمال: مطلقا ومقيدا، فالجمال المطلق يتمثل في الذات الإلهية المقدسة، والجمال المقيد هو جمال المرأة حسب ابن فارض الذي استعار أسماء محبوبات الشعراء العذريين (لبنى، بثينة، عزة) " ليرمز إلى مشاهدات غيبية لا تدرك إلا بالذوق"، (بلعشار مرسلي: 2013م، ص95)، فالمعشوقات هنا: "مرايا تعكس لنا نور المحبوب الأسنى ، وتكشف عن جمال الوجود الأعظم، وترمز إلى محبوبة واحدة هي (الذات الإلهية)...، وإن هذا الحسن معار من الجمال العلوي الذي لا يعرف كنهه ، و لا يدرك ماهيته إلا من صفا قلبه ، و تطهر من حب . السوى، وأشرق بحب أنوار الذات الإلهية"، (المصدر نفسه: ص96)، يتضح من خلال ما سبق أن رمز المرأة كان له نصيب كبير في الشعر الصوفي وقد حظي باهتمام العديد من شعراء التصوف، وهذا ما يمكن بيانه في قصيدة لابن الفرض التي جاء بها ما يأتي:

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

أَرَجُ النسيم سَرَى من الزوراء سَحَرَاً، فأحيا ميّتَ الأحياءِ

أهدى لنا أرواحَ نجْدٍ عرفُه فالجو منه مُعَنبَرُ الأرجاءِ

يا راكبَ الوجناء، بُلّغتَ المُنى عُجب الحِمى، إنْ جُزتَ بالجرعاءِ

وإذا أتيتَ أُثَيْلَ سلْعٍ، فالنّقا فالرّقمتين، فَلَعْلَعٍ فَشظاء

(ديوان ابن الفارض: 1310هـ، ص 131).

إن الرمز الذي يكونه الشاعر في المقطع الشعري الآنف الذكر يتجسد من خلال مواجهة الشاعر مع عالم المرأة، وهي مواجهة تتولد من حقيقة الشاعر الواقعية ومعطياته الروحية، فالشاعر يصف المرأة بأريج النسيم، هذا الاريج يحي الموتى بحسب تصوره، ومن هنا اصبح رمز المرأة قيمة روحية كبرى تهدي له الارواح، مما اصبح هذا الرمز انعكاساً للعالم النفسي الداخلي للشاعر ، وبذلك تصبح مهمة الشاعر في المقطع الشعري الآنف الذكر ليست سهلة، فهو يربط المحسوسات بالموجودات ليقف المتلقي من خلالها على طبيعة رمز المرأة ومعطياته الروحية التي ينشدها الشاعر من خلال هذا الرمز.

ويطرح ابن الفارض أمثلة حيَّة للشعر الصوفي تتماهى مع القصيدة التقليدية في تناول الموضوعات, لكنها تختلف في الماهية, مستدلا بالعمق والايحاء الكامن في باطن القصيدة الصوفية التي لا ترتهن المعنى بحسب الظاهر, بل تعتمد العمق سبيلا للخوض في جوانية القصيدة، فقصائد ابن الفارض عباراتها واضحة لكن دلالاتها كامنة, أي أنها مختفية خلف المعنى الذي يريد ايصاله إلى المتلقي، وعليه صار رمز المرأة ذي أبعاد جمالية فيه متعة ولذة روحية، فرمز المرأة بات رمزا موحياً دالاً على المحبوب وهو الله سبحانه وتعالى، وبذلك نجد أن الشعر الصوفي - وحصراً في قصائد ابن الفارض كتبت في الوجد وعبرت عن لواعج النفس التي تقاسي الجنون، من شدة الانجذاب إلى الحبيب, وهذا ما يمكن تأكيده في قصائد ابن الفارض، حيث يقول:

فمنيَ مجذوبٌ إليها وجاذبٌ إليهِ ونزعُ النزعِ في كلّ جذبةٍ

وما ذاكَ إلّا أنَّ نَفْسي تَذَكَّرَتْ حقيقتها مِنْ نَفسِها حينَ أوحَتْ

(المصدر نفسه: ص 102).

في هذين البيتين الآنفي الذكر نلمس عند ابن الفارض تعبيراً عن وجدانه، وهو تعبير روحي عن حبَّه لله، ومما سبق يمكننا القول أن المحبة أن يعيش كل من المحب والمحبوب في عيشة طيبة، وبذلك باتت الرمزية وحصراً في رمزية المرأة " ليست بغريبة على الشعر الصوفي في

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

الإسلام، بل إنها لم تبد في غير التصوف بمثل هذا الغنى "، (محمد عبد المنعم خفاجي: (د–ت)، ص 181)، وهكذا نجد رمز المرأة شاع شيوعاً كبيرا في شعر المتصوفة, وقد نلمس شيئا من ميل عاطفي فطري ينال من خيال الشاعر الصوفي حيث الوقوع في حبائل التغزل بالمرأة بحقيقتها لا بوصفها رمزا للحب الإلهي, وممّا سبق يتضح لنا أن الصوفية قد اعتمدوا في شعرهم على النص الشعري العربي القديم سواء كان ذلك في لغته وصورة وأساليبه أو مضامينه خاصة تلك التي تمسُّ موضوعات الغزل، لقوله في قصيدة أخرى:

أوميضُ برقٍ، بالأبيرقِ لاحا، أم في رُبَى نجدٍ، أرى مصباحا؟

أم تلك ليلى العامريّةُ أسفرتْ ليلاً، فصيّرت المساءَ صباحا؟

يا راكبَ الوجناء وُقيّتَ الرَّدى، إن جُبْتَ حَزْنا، أو طويتَ بطاحا

وسلكتَ نَعمانَ الأراكِ، فعُج إلى وادٍ، هناك عهدتُهُ فيَّاحا

(ديوان ابن الفارض: 1310هـ، ص 135).

يتمثل في هذه الأبيات رمز الأنثى، وتندرج ضمن موضوعة الغزل العذري، وهو ما دعا ابن الفارض على توظيف رمز المرأة توظيفاً فنياً جمالياً، ولقد جاء هذا التوظيف من خلال الأسئلة التي تمَّ طرحها، فالشاعر يقارن محبوبته بالبرق والمصباح الذي يشعُّ نورا صباحاً ومساء، ويتبيّن لنا أن ابن الفارض جسّد صورة المرأة بقالب رمزي جمالي، حرصا منه على تمثل البعدين المحسوس والروحي وحضورهما في جسد القصيدة الصوفية، فلا تفرد لأحدهما على حساب الآخر في لعبة تبادل أدوار تمنح القارئ المتعة في اكتناه المعنى الظاهر والباطن.

الخاتمة

يظهر في البحث تمايزا واضحا للرمز في الشعر الصوفي من حيث الماهية والمفهوم، عن سائر أنواع الشعر العربي، فهو شعر ينشد فيه الرمز الذوبان الروحي بالذات الإلهية والعمل الدائب على فناء الجسد، من خلال اتخاذ الانقطاع عن المادي والاستغراق بالروحي (الجمال المعنوي)، الشعور المقترن برياضة روحية يومية لا تقف عند هذا حدّ ما، بل تطال ترويض الجسد والنأي به عن الرغبة بالامتلاء، ويتجلى في البحث رمز الخمرة ورمز المرأة المنطويان على دلالات متعددة، ولذلك اتّخذ ابن الفارض من رمز الخمرة معاني عميقة تتجاوز الظاهر، فالخمرة تحضر كرمز دلالي عن الانتشاء الروحي والانعتاق من قيود الجسد الفاني, فهي تسلك طريقا السالك ومعبدا بالحب الإلهي، حيث الهيمان والانتشاء برفقة المعشوق, فهي إن انتشت لا تسكر فلا تحضر الخمرة بحقيقتها في القصيدة

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

الصوفية, مثل ذهاب العقل وتشتت الأفكار وتغير الحالة المزاجية، بل هي يقظة وعوالم من صفاء, وذات المنحى عندما يرد رمز المرأة في القصيدة عند ابن الفارض, إنّما ترد كرمز صوفي يكمن في الجوهر الأنثوي، وهو ما سار عليه الشعر الصوفي في تجاوزه للمحسوس، فرمز المرأة تجسيد للجمال الإلهي ومعبر عن شوق العارفين، وسمو للروح في حضرة الألوهية، تحرر وانقطاع تامين عن العوالق الدنيوية الفانية.

نوجز أهم نتائج وتوصيات البحث:

أولا: النتائج

1. إن الرمز له أبعاده الفنية والجمالية وهو الجمال المعنوي الذي ينشده الشاعر الصوفي ليصل به إلى الجمال الروحي، ولذا بات الرمز عند ابن الفارض تعبيراً لا يقف عند دلالاته المتعينة بل هو متعدد التأويل غزير الدلالة يعبر عن الجمال الإلهي المطلق.

2 ـ إن الرمز الصوفي من الأمور التي يصعب تفسيرها، فلقد اتسم الشعر الصوفي بخصوصية ميزته عن باقي أنواع الشعر الأخرى، إذ تكمن تلك الصعوبة في قوة الترميز ممّا تتسم نصوص الشعراء المتصوفة بالغموض، لذلك يمتاز شعرهم عن غيره من الشعر العربي بخصائص فنية وموضوعية خاصة.

3 ـ إن شعر ابن الفارض هو شعر الرمز يعبّر فيه عن تجربته الذاتية بما فيها من أذواق ومواجيد وما يعتريه من فقد وما يحسّه من اغتراب، نظرا لما يتضمنه من صور فنية كثيفة ذات دلالات رمزية.

4 ـ إن ابن الفارض في خطابه الشعري الصوفي، إنّما ينطلق من الأشكال التعبيرية القديمة، ويشحنها بالدلالات، حتى تساير فضاءه الروحي.

5- إن ابن الفارض اتخذ من الخمرة رمزاً ليعبر عن وجدانه الخاص، وبذلك أسس ابن الفارض عن طريق ذكر الخمرة معجمه الخاص لغرض ابداع تجربته الشعورية والروحية.

6 ـ أن رمز المرأة كان له نصيب كبير في الشعر الصوفي وقد حظي باهتمام ابن الفارض، عبر من خلال رمز المرأة عن الحب أعظم تعبير، واتخذه مذهباً في الحياة.

ثانيا: التوصيات

1- استثمار الرمز في الشعر الصوفي لتنمية التجارب الذاتية، وتوجيه بوصلة الدارسين نحوه، لمراعاته المشاعر الخبيئة في الذات الإنسانية المرهفة من شعور بالوحدة والاغتراب.

2- التأكيد على البعد الروحي وتنميته في الدراسات الرصينة، لما له من قصب السبق على الجانب المادي الزائل.

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN (2959-0256)

العدد
6
شهر آب
2027

3- التوسعة في مجال دراسة الرمز في الشعر الصوفي، فهو لا يقتصر على رمز الخمرة والمرأة والطبيعة والطير، بل إلى دلالة الرمز الرقمية والحرفية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1-ابن رشيق القيرواني.(1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (ط5)، دار الجبل، بيروت.

2- احمد بن محمد بن علي.(1987). المصباح المنير، (د-ط)، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان.

3-بهاء حسن سليمان زعرب. (٢٠١٢). أثر الفكر الصوفي في التفسير، دراسة نقدية، الجامعة الإسلامية- غزة،(رسالة).

4- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور.(1975) لسان العرب، تقديم: عبد الله العلايلي، (ط1)، دار صادر، بيروت.

5-ديوان ابن الفارض.(1310 هـ). تحقيق جمعة رشيد بن غالب، (د-ط)، المطبعة الخيرية.

6-عبد الله حسين. (د- ت). التصوف والمتصوفة، (د-ط) مؤسسة هنداوي.

7-عبده غالب أحمد عيسى. (١٩٩٢) مفهوم التصوف، ط١ دار الجيل، بيروت.

8-عاطف جودة نصر.(1961). النص الشعري ومشكلات التفسير، (ط1)، مكتبة لبنان، بيروت.

9- عاطف جودة نصر.(1987). الرمز الشعري عند الصوفية، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

10- عبد الرحمن بن خلدون.(2004) مقدمة ابن خلدون، حققه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق.

11- صلاح فضل.(1995). أساليب الشعرية المعاصرة، (ط1)، دار الآداب، بيروت.

12-علي حيدر.(1999). مدخل إلى دراسة التصوف: الشعر الصوفي في القرن السابع الهجري والعصر المملوكي، (ط1، دار الشموس للدراسات، دمشق.

13-مجد الدين الفيروزآبادي. (٢٠٠٨). القاموس المحيط، مراجعة، أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة.

14-محمد عبد المنعم خفاجي.(د-ت). الأدب في التراث الصوفي، (د-ط)، مكتبة غريب، بيروت.

15- نصر حامد أبو زيد.(1990). مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، (ط1)، ، المركز الثقافي العربي، بيروت.

مجلة كلية الطف
للعلوم الانسانية والاجتماعية

الجزء 2

ISSN (2959-0256)

ثانياً: الرسائل الجامعية:

16- شعوفي قويدر.(2018). جمالية الخيال والرمز في الشعر الصوفي ، دراسة تحليلية مقارنة بين الحلاج وابن عربي، الجزائر، جامعة وهران، الموسم الدراسي، (أطروحة).

17- مولود محمد زايد. (٢٠٠١) ، رمزية الماء في شعر السياب، العراق, جامعة البصرة، (رسالة).

ثالثاً: المجلات والدوريات:

18- محمد هادى مرادي.(2011). فاطمة نصر اللهي، الغزل الصوفي عند ابن الفارض وجامي ـ دراسة نقدية مقارنة في المضمون (مقالة) ، مجلة إضاءات نقدية، السنة الأولى، العدد: الأول/ آذار.

19-محمد كبيري, .(2022), قراءة نقدية في خصائص الشعر الصوفي, مجلة اللغة العربية وآدابها, العدد, 36, كانون1.

20- مرسلي بولعشار.(2013). الخصائص الفنية للرمز عند المتصوفة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، العدد الخامس.